

PROCEEDINGS

KUALILISQ

Kuala Lumpur International Islamic Studies And Civilisations Conference

2016

'ISLAM & ITS PERSPECTIVES ON GLOBAL & LOCAL CONTEMPORARY CHALLENGES

7 - 8 MAY 2016

HOTEL PUTRA, KUALA LUMPUR, MALAYSIA

ISBN No: 978-967-13952-3-3

المهدي المنتظر وواقع الأمة: دراسة تحليلية

د. فطيمر شيخو¹

ملخص

فإذا نظرنا في واقع الأمة الإسلامية نرى أنّها في حالٍ لا يخفى على كلّ ذي بصيرة، ويعيش المسلم في زمنٍ عمّت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، حتّى كادت أن تصبح السنة في عصرنا هذا كالبدعة، والبدعة شرعاً مُتبعاً. وأوشك أن يُصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والرزيلة فضيلة، والفضيلة رذيلة، وأصبح غالب الناس في خفّة من الدين، وإدبار من العلم، وأصبح الجاهل عالماً والعالم جاهلاً، لينتشر الفساد في أشتات العالم. ونتيجة للتطورات المتسارعة والأحداث الجذرية التي تمر بها الأمة المسلمة في الوقت الراهن؛ ظهرت قضية المهدي المنتظر ودار حولها حراك علمي نشط عند المختصين بها، فضلاً عن انشغال عامة الناس بها. وقد انعكس الاختلاف حول صحة الأحاديث ظهور المهدي من عدمها على عامة المسلمين، لتزداد فجوة الاختلاف وتوسع في وقت لاتزال آثار الفرقة والتقسيم تنخر جسد الأمة، وعلى أثر هذا تقوم إشكالية هذه الدراسة التي تكتنفها الأسئلة التالية: (1) ما أحاديث ظهور المهدي؟ وما مدى صحتها في الصناعة الحديثية؟ (2) كيف فهم العلماء مسألة ظهور المهدي وما مواقفهم؟ (3) ما انعكاسات قضية ظهور المهدي على واقع الأمة ومستقبلها. (4) ما موقف الديانات الأخرى من مفهوم المهدي المنتظر. هذا ولقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع أحاديث ظهور المهدي من مصادرها، وتقصى مواقف العلماء منها قديماً وحديثاً. كما اتبع الباحث المنهج التحليلي لتشخيص العلاقة بين مسألة ظهور المهدي وواقع الأمة. سعياً لتحقيق أهداف هذه الدراسة المتمثلة بالنقاط التالية: (1) ضرورة توحيد آراء العلماء في فهم مسألة ظهور المهدي، ونشرها بين عامة الناس. (2) تحرير العقل المسلم من الخرافات والأساطير التي رافقت مسألة ظهور المهدي وبيان أثرها السلبي على مستقبل الأمة. (3) الأصول إلى التوصيات والمقترحات التي تضع قضية المهدي في سياقها الصحيح وأثرها الإيجابي في نفوس عامة الناس وخاصتهم.

الكلمات المفتاحية: المهدي، أحاديث، الإسلام، الاعتقاد، الديانات الأخرى، واقع الأمة، المسلمون، علماء.

المقدمة:

وَحَتَمَ اللهُ I الرسالة السماوية بإرسال أخير الأنبياء والرسول وهو محمد E المرسل إلى النَّاس كافة. وكان جميع الأنبياء والرسول قبل مجيئ محمد E يدعون أقوامهم إلى توحيد الله I وعبادته واجتنب الطاغوت. وقد أكرم الله النَّاس عامةً والمسلمين خاصةً بدين الإسلام، والقرآن الكريم، والسنة النبوية. ومع ذلك تكون نصوص دين الإسلام حيةً، قابلة للتكييف مع مستجدات كل زمان حتّى يوم القيامة، وصالحة لمعيشة هذا الإنسان. وكان صحابة النبي E يشرحون أحاديث وأقوال محمد E حسب فهمهم ويطابقون معانيه مع الواقع. وهذه الظاهرة كانت تحدث من زمان إلى آخر ومن جيل إلى آخر، حتى وصلت إلى يومنا هذا. ويهتم هذا البحث بالأحاديث المتعلقة بخروج المهدي المنتظر في آخر الزمان. وقد تغير شرح فهمه من جيل إلى آخر ومن عصر إلى آخر، ولكلِّ عصر سبب يدفع العلماء إلى تأليف كتب من أجل شرح مضمون هذا الحديث. وطائفة من النَّاس احتجوا بحديث المهدي المنتظر وطائفة أخرى أمهلوا أو أنكروا ذكره، كما أنّ هناك من دعى نفسه بالمهدي ومن أدعى بذلك. إنّ هذه الدراسة محاولة من الباحث لإبراز جوانب التطور في شرح حديث المهدي وواقع لحال الأمة المسلمة في عصرنا هذا، وهو الحديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه «لَا تَلْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَأْطِي اسْمُهُ اسْمِي». والسبب الأساسي الذي دفع الباحث إلى أن يختار هذا الحديث هو أنّ الترمذي حكم عليه بأنّه: حسن صحيح. وقد جاء هذا

¹ الأستاذ المساعد بقسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

البحث في أربعة محاور، وهي: **المحور الأول**: أحاديث ظهور المهدي وبيان مدى صحتها في الصناعة الحديثة؛ و**المحور الثاني**: بيان فهم العلماء لمسألة ظهور المهدي وحقيقة مواقفهم؛ **المحور الثالث**: مناقشة انعكاسات قضية ظهور المهدي على واقع الأمة ومستقبلها؛ **المحور الرابع**: عرض موقف الديانات الأخرى من مفهوم المهدي المنتظر.

المحور الأول: أحاديث ظهور المهدي وبيان مدى صحتها في الصناعة الحديثة

إنَّ بيان أحاديث ظهور المهدي والوقوف على مدى صحتها في منهج المُحدثين، سيتضح من الوقوف على روايات هذا الحديث وطرقه، ومن النظر في حكمه الذي يُستنبط من كتب الأحاديث المختلفة، وبالتالي ستظهر أمامنا صحة قبول أسانيد تخريج هذا الحديث، لهذا لا بدَّ من عرضها على ضوء النقاط التالية:

أولاً: بيان أحاديث ظهور المهدي

يُبين البحث أحاديث ظهور المهدي حسب صحتهم التي تعتمد على إخراجهم من علماء المسلمين، وخاصة رواة هذا الحديث، نحو الترمذي، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وغيرهم. ويأتي بيان هذا الحديث على نحو التالي:

1. عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي». أخرجه الترمذي عن طريق سفيان الثوري. وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ فِي حَدِيثِ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ: «لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى...». أما الإمام أحمد فلفظه عن عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَنْقُضِي الْأَيَّامُ وَلَا يَذْهَبُ الدَّهْرُ...»².
2. رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي». أخرجه من طريق سفيان بن عُيينة.³
3. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي». أخرجه من طريق سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ.⁴
4. رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينًا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ بِعِشْرِ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا. زَيْدٌ الشَّائِكُ. قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ. قَالَ: سِنِينَ قَالَ فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيٌّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، قَالَ فَيَحْنِي لَهُ فِي نُوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ». أخرجه من طريق أَبِي الصَّدِّيقِ النَّجَّاشِيِّ.⁵

² رواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في المهدي (رقم: 2231)، وأبو داود في المهدي في أول الكتاب (رقم: 4113)، والإمام أحمد في كتاب مُسْنَدِ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (رقم: 3390). انظر: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**، تحقيق: الذهبي، مصطفى محمد حسين (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1419هـ/1999م، ج4)، ص245؛ وأبي داود، مختصر سنن أبي داود، المنذري، الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001م، ج4)، ص104؛ وابن حنبل، أحمد بن محمد، **المُسْنَد**، شرح تحقيق: أحمد محمد شاكر (مصر: دار المعارف، ج5، 1375هـ)، ص199.

³ رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي (رقم: 2230) انظر: الترمذي، **الجامع الصحيح...، ج4، ص245.**

⁴ رواه الإمام أحمد في كتاب مُسْنَدِ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ (رقم: 3390). انظر: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، **المُسْنَد**، ج5، ص199.

⁵ رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي (رقم: 2333)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. انظر: الترمذي، **الجامع الصحيح...، ج4، ص245.**

5. روى أبو داود في كتاب المهدي، عن أحمد بن إبراهيم عن عبد الله بن جعفر الرقي عن أبو المليلح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نقييل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سئمت رسول الله ع يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»⁶.

ثانياً: الحكم على الأحاديث

ولعل الحديث الأول هو أصح الأحاديث الواردة في مسألة ظهور المهدي؛ مما يقتضي التركيز على صحته وتعدد طرقه. سيتضح من الوقوف على روايات هذا الحديث وطرقه، ومن النظر في حكمه الذي يستنبط من كتب الأحاديث المختلفة، وبالتالي ستظهر أمامنا صحة قبول أسانيد تخريج هذا الحديث. كما يتجلى مما ذكرناه أن الحديث في خروج المهدي في آخر الزمان لم يذكر في الصحيحين، البخاري ومسلم، وهذا لا يعني عدم التعامل مع الحديث. وجاء هذا الحديث في روايات أخرجه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، وغيرهم، ببعض الألفاظ الزائدة ولكن المضمون واحد، ومع ذلك سنحاول أن نبين وجهات النظر المختلفة فيه، للوصول إلى أصح درجته في الحكم عليه. وجاء في عون المعبود⁷ أن حديث عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي في جامعه⁸، أنه حسبما قاله الترمذي: حديث حسن صحيح. وسكت عنه أبو داود، والمنذري وابن القيم. وقال أحمد ابن حنبل: كان رجلاً صالحاً وأنا أختار قراءته. وقال أحمد أيضاً: وأبو زرعة ثقة. وقال أبو حاتم محلّه عندي محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ.⁹ وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم، ثم قال: وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كُتِبَها صحيحة إذ عاصم إمام من أئمة المسلمين. وعاصم هذا هو ابن أبي النجود بمدة: أحد القراء السبعة.¹⁰ وذكر الحديث ابن تيمية في منهاج السنة، وأشار إلى صحته.¹¹ وأشار المتقي الهندي في كتابه إلى حكم هذا الحديث قائلاً: "إن الحديث إسناده حسن لأن رجاله كلهم ثقات غير عاصم ابن أبي النجود وهو حسن الحديث".¹² ويؤكد المباركفوري أن الأحاديث الواردة في ظهور المهدي كثيرة جداً، ولكن أكثرها ضعاف، ولا شك في أن حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه الترمذي، لا ينحط عن درجة الحسن وله شواهد وتوابعه صالح للاحتجاج بلا مرية، فالقول بخروج الإمام المهدي وظهوره هو القول الحق والصواب والله تعالى أعلم.¹³ وذكره أيضاً الشيخ الألباني (ت/1999م) في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: 1529، حيث جعله من بين الأحاديث الصحيحة.¹⁴

ثالثاً: شرح ومفهوم ألفاظ الحديث

لقد يحاول الباحث في هذه النقطة المتعلقة بـ"شرح ومفهوم ألفاظ الحديث" أن يبين غراض مضمون الحديث ظهور المهدي، نحو: (أ) وقوله «لَا تَدْهَبُ الدُّنْيَا»؛ أي تفتي أو لا تنقضي أو نقول: لا تقوم القيامة قبل ظهور المهدي المنتظر. (ب) وقوله: «حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ» وخصّ بذكر العرب لأنهم الأصل والأشراف، ولغلبتهم في زمن المهدي. ولم يذكر العجم وهم مرادون أيضاً لأن (المهدي)

⁶ رواه أبو داود في سننه، كتاب المهدي، (رقم: 3735). انظر: أبي داود، مختصر سنن أبي داود، ج4، ص104.

⁷ انظر: العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية (المكتبة السلفية، ط3، ج11، 1979م)، ص372.

⁸ انظر: الترمذي، الجامع الصحيح...، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، ج4، ص245.

⁹ انظر: العظيم آبادي، ج11، ص372.

¹⁰ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، التلخیص للحافظ الذهبي (بيروت: دار المعرفة، ج4، 1986م)، ص488.

¹¹ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، ج4، 1409هـ/1989م)، ص211.

¹² المتقي الهندي، علاء بن حسام الدين، البرهان في علامات مهدي في آخر الزمان، تحقيق: الياسين، جاسم بن محمد بن مهلهل، ط1، ج2، 1988م، ص566-569.

¹³ المباركفوري، الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (القاهرة: دار الفكر، ط3، ج6، 1979م)، ص485.

¹⁴ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (الرياض: مكتبة المعارف، ج4، 1995م)، ص41.

إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يداً واحدة قهروا سائر الأمم.¹⁵ ولا ريب أنه أول ما يملك العرب ثم ييسر دعوته في أرجاء الأرض، ويقوم بالعدل، ويُطبق قواعد الدين الإسلام - الصلاة والعبادة والشريعة. ودين الإسلام ليس للعرب وحدهم بل للعالمين من عرب وعجم وحن. والمهدي هو مجدد من المجددين، تبع لنبيه محمد ع الذي نشر دينه في العالمين. (ج) وقوله: «رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» هو الإمام المهدي المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان قبل نزول عيسى U. وهو يشبه النبي ع في الأفعال والأخلاق ولا يشبهه في الصورة. (د) وقوله «يُؤَاطِي أَسْمُهُ اسْمِي» أي يوافق ويطلق اسم المهدي اسم نبينا محمد ع. وزاد أبي داود في روايته عن هذا الحديث «يُؤَاطِي أَسْمُهُ اسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» فيكون المهدي هو محمد بن عبد الله، وهذا رد على الشيعة القائلين: المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري.¹⁶

المحور الثاني: بيان فهم العلماء لمسألة ظهور المهدي وحقيقة مواقفهم

لقد كان من الطبيعي أن تبادر الأمة الإسلامية إلى تصديق كل ما صح عن النبي ع والإيمان به والاعتقاد بموجبه، وهكذا كان الأمر فيما يتعلق بخروج المهدي أيضاً. ولهذا ذكر العلامة ابن خلدون قائلاً: "اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي...".¹⁷ ولكن في مقابل هذا المشهور بين الأمة المسلمة على مر العصور قديماً وحديثاً يلاحظ أن بعض الناس ترددوا في قبول فكرة خروج المهدي، وبعضهم أمهلوها وأنكرها حيث حكموا عليها بأنها موضوعة مختلفة من أساسها. ولذا يتضح أن في حديث المهدي الذي أخرجه الترمذي بعض الإشكاليات التي تحتاج إلى بحث عن علاجها من خلال ما قاله المتقدمون والمحدثون من علماء المسلمين عبر التاريخ، وسيتم الوصول إلى صورة واضحة تُعين على إبراز جوانب التطور التي جرت على الحديث.

أولاً: إشكالية في ذكر أشهر من ظن بهم المهديّة ومن ادعى المهديّة

لقد كان القول والاعتقاد بخروج المهدي المنتظر ثابتاً عند المسلمين منذ عهد الرسول ع. وإن الأحاديث تنطق بظهوره وتُصريح بجلالته قدره وعلو مكانته، بحيث لا تجد في تاريخ التراث الإسلامي نظير تلك الشخصية من حيث الإمكانيات وتنفيذ القدرة والاستيلاء على الكرة الأرضية. فكانت هذه الحقيقة مشهورة عند المسلمين معروفة لديهم لكثرة الأحاديث المرية حولها، ولم يكن أحد يتجرأ على تكذيب هذه الحقيقة في ذلك الزمان. وانطلاقاً من هذه العقيدة والحقيقة ظهر خلال هذه القرون، أفراد ظن بهم المهديّة، ومن ادّعى المهديّة. وقال ابن تيمية: "فهؤلاء كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله"،¹⁸ ولكننا سنذكر في هذه الدراسة بعضاً منهم حسب ادعائهم، وهم كالاتي:

- من ظن بهم المهديّة:

إن بعض من العلماء المتقدمين والمحدثين ظنوا أن عيسى ابن مريم U هو المهدي المنتظر على الحقيقة، واحتجوا بحديث منكر أخرجه ابن ماجه والحاكم عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن بن أنس بن

¹⁵ العظيم آبادي، عون المعبود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ج11، ص372-373.

¹⁶ المباركفوري، تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، ج6، ص485-488.

¹⁷ ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتلى والخبر (بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ط2، ج1، 1961م)، ص555.

¹⁸ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج4، ص211.

مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ع قَالَ: «...وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ».¹⁹ وقال ابن قَيِّم الجوزيَّة: "أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَصِحُّ، وَلَوْ صَحَّ؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِجَّةٌ؛ لِأَنَّ عِيسَى أَعْظَمُ مَهْدِي بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ع وَبَيْنَ السَّاعَةِ. فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَا مَهْدِي فِي الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ مَهْدِيًّا. كَمَا يُقَالُ: لَا عِلْمَ إِلَّا مَا نَفَع".²⁰ وَلَا شَكَّ أَنَّ عِيسَى بِنَ مَرْيَمَ U مِنَ الْمَهْدِيِّينَ بِالْمَعْنَى الْعَامِ، بَلْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ الْمَهْدِي الَّذِي نَحْنُ فِي صَدَدِهِ. وَقَدْ ظَنَّ بَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (ت/101هـ)، وَهُوَ خَامِسُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَعْرُوفِ بِعَدْلِهِ وَفَضْلِهِ وَزَهْدِهِ، أَنَّهُ هُوَ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ع. وَإِنْ صَحَّ إِطْلَاقُ الْمَهْدِي عَلَيْهِ لِعُيُوبٍ لَكِنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يُخْرَجُ آخِرَ الزَّمَانِ. وَقَالَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّة: "لَا رَيْبَ أَنَّهُ كَانَ رَاشِدًا مَهْدِيًّا وَلَكِنْ لَيْسَ بِالْمَهْدِيِّ الَّذِي يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ".²¹

وَأَدَّعَتِ الشَّيْبَةُ الْإِمَامِيَّةُ عَلَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ (ت/265)، مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، لَا مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ. وَزَعَمُوا أَنَّهُ اخْتَفَى يَوْمًا عَنْ أَعْوَانِهِ فِي سَرْدَابٍ فِي بَيْتِ أَبِيهِ فِي مَدِينَةِ (سِرِّ مِنْ رَأْيٍ - الَّتِي تَسْمَى الْآنَ سَامِرَاءَ) عِنْدَمَا كَانَ طِفْلًا صَغِيرًا؛ أَيْ كَانَ عَمْرُهُ تِسْعَ سِنِينَ، وَهَذَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ،²² وَكَانَ يَعِيشُ فِي سَامِرَاءَ، تَحْتَ رِعَايَةِ وَالِدِهِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي كَانَ يُظَهِّرُ ابْنَهُ لِبَعْضِ الثَّقَاتِ مِنَ الشَّيْبَةِ، وَيُعَرِّفُهُ لَهُمْ بِأَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الْمَوْعُودُ الْمُنْتَظَرُ.²³ وَيَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ الشَّيْبَةُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي السَّرْدَابِ حَيًّا، وَقَدْ رَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ عِلْمَائِهِمُ الْمَتَأَخِّرِينَ أَسْئَلَةً شَرْعِيَّةً فِي رِقَاعِ كَانُوا يَلْقَوْنَهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ فَتَاوَاهُ مَدُونَةً فِيهَا!! وَمَسَائِلُ هَذِهِ الرِّقَاعِ عِنْدَهُمْ أَصْحَحُ الْمَسَائِلِ وَالْأَحْكَامِ!! وَهُمْ كَلَّمَا ذَكَرُوهُ يَقْرَنُونَ اسْمَهُ بِجُرْحِي الْعَيْنِ وَالْجِيمِ (عَجْ) وَهِيَ مَقْتَنُفَانٌ مِنْ جَمَلَةِ عَجَلِ اللَّهِ خِلَاصَهُ (فَرَجَهُ).²⁴ وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِي السَّرْدَابِ لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَقْفُونَ بِالْخَيْلِ عَلَى بَابِ السَّرْدَابِ وَيَصِيحُونَ بِهِ أَنْ يُخْرَجْ إِلَيْهِمْ: "أَخْرِجْ يَا مَوْلَانَا، أَخْرِجْ يَا مَوْلَانَا".²⁵ وَيَتَضَحُّ أَنَّ دَعْوَى الشَّيْبَةِ الْإِمَامِيَّةَ هِيَ دَعْوَى بَلَا دَلِيلٍ. وَلِذَا قَالَ السَّفَارِينِيُّ: "أَنَّ كُلَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الشَّيْبَةِ ضَرَبَ مِنَ الْجَنُونِ وَالْهَذْيَانِ"، ثُمَّ قَالَ: "وَعَلَى عَقُولِهِمُ الْعِفَارِ، وَعَلَى أَفْهَامِهِمُ الْبُورِ، مَا أَضَلَّ عُلُومَهُمْ وَأَبْلَدَ فَهْمَهُمْ".²⁶

والسيد أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي (1246هـ)، هو رجل مجاهد من المجاهدين في الهند قام هو وساعده الأيمن الشاه إسماعيل الشهيد بحركة جهادية عظيمة وخرأ شهيدين في معركة مع السيخ في بالاكوت سنة 1246هـ، وكانت حركتهما حركة إسلامية محضة. ولم يدع السيد أنه المهدي المنتظر، ولكن بعض من الأتباع الخاملين قد توهموا في أمره. فادعوا أنه هو المهدي وأرادوا أن يطبقوا عليه أحاديث المهدي.²⁷ وقد ردَّ عليهم صديق خان بن حسن القنوجي: "وقد حمل قوم من علماء الهند حديث خروج المهدي على خروج السيد أحمد البريلوي بتكلفت باردة مع أن السيد كان رجلاً صالحاً حجج وجاهد وغزا ولم يدع المهديوية قط ولم تكن تنبغي له

¹⁹ انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم: 4029

²⁰ ابن قَيِّم الجوزيَّة، شمس الدين محمَّد بن أبي بكر، المَنَازُ الْمُتَنَبِّئُ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ، تحقيق: عبد الشافي، أحمد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م)، ص136.

²¹ المصدر السابق، ص150.

²² ابن قَيِّم الجوزيَّة، المَنَازُ الْمُتَنَبِّئُ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ، ص140-141. "وقالوا: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَلِدَ سَنَةَ 255 وَأُمَّهُ نَرْجَسٌ، أَوْ رِيحَانَةٌ، أَوْ صَقِيلٌ، أَوْ سَوْسَنٌ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ وَأَلْقَابُهُ كَثِيرَةٌ، وَمِنَهُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ".

²³ القزويني، السيِّدُ مُحَمَّدُ كَازِمٌ، الإِمَامُ الْمَهْدِيُّ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الظُّهُورِ (بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات، ط1، 1415هـ/1995م)، ص147.

²⁴ رضا، السيد محمَّد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (بيروت: دار المعرفة، ط1، ج9، 1342هـ)، ص501.

²⁵ ابن قَيِّم الجوزيَّة، المَنَازُ الْمُتَنَبِّئُ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ، ص141.

²⁶ السفاريني، محمَّد، المسيح الدجال وأسرار الساعة (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د. ط، د. ت)، ص16.

²⁷ انظر: البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة (بيروت: دار ابن حزم، ط1،

1420هـ/1999م)، ص116.

هذه الدعوى²⁸. والمهدي السنوسي (ت/ 1320هـ)، هو محمد بن محمد بن علي السنوسي زعيم السنوسية الثاني. وقد قويت الحركة السنوسية في أيامه جداً حتى خاف منه السلطان عبد الحميد وهو والد الملك محمد إدريس السنوسي ملك ليبيا السابق.²⁹ وقال السيد رشيد رضا: "ويقال إن السنوسية يعتقدون أن شيخهم المهدي السنوسي هو الإمام المنتظر ومنهم من يقول أنه اختفى قد بلغنا أنهم كانوا إذا سُئلوا عن موته يقولون الحي يموت ولا يقولون إنه قد مات".³⁰

- من ادعى المهديّة:

المهدي العباسي (ت/ 169هـ): وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور الذي لقب بالمهدي لموافقته في الاسم الوارد في الحديث أخرجه الترمذي «يواطيء اسمه اسمي»؛ أي يوافق اسمه باسم رسول الله ع. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي ع قال في المهدي «يُؤَاطِيُ اسْمُهُ اسْمِي واسم أبيه اسم أبي» صار يطمع كثير من الناس أن يكون هو المهدي حتى سمي المنصور ابنه محمد ولقبه بالمهدي مواطاة اسمه باسمه واسم أبيه باسم أبيه ولم يكن هو الموعود به".³¹ وذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) قائلاً: "وإنما لقب (المهدي العباسي) بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به وإن اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل ذلك يأتي في آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً".³² ولعل من دواعي تلقيب المنصور ابنه بالمهدي محاربة دعاية محمد (النفوس الزكية) وقد كان هو الآخر يدعي المهديّة فأراد المنصور أن يحارب المهدي بمهدي آخر والله أعلم بالصواب. **المهدي المغربي ابن تومرت (ت/ 524هـ):** وهو محمد بن عبد الله تومرت المنعوت بالمهدي الهدغي،³³ والذي ولد في إحدى القبائل البربرية وكان والده يلقب بتومرت فاشتهر به، ولكنه ادعى فيما بعد أنه علوي من أهل البيت فاخترع له نسباً إلى علي بن أبي طالب.³⁴ وتحوّل في مدن المغرب وبث دعائه في جميع النواحي ولمّا تيقن من قوته وكثرة أتباعه أعلن إمامته ودعا إلى قتال الكفرة من الجسامين (المرابطين) وتغيير المنكر والأمر بالمعروف وأعلن أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم قال أن زمانه آخر الزمان واسمه اسم النبي ع ونسبه نسب رسول الله ع.³⁵ وآمن به عدد من أتباعه وباعوه على ذلك فأصبح خطبواؤه يقولون على المنابر الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، الذي بشرت به في الأحاديث النبي ع.³⁶ ويؤكد ابن قيم الجوزية أن مهدي المغاربة هو رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل ملك بالظلم والتغلب والتجليل وقتل النفوس وأباح حرّم المسلمين وسي ذراريهم أخذ أموالهم وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير. واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان، وتسمى بالمهدي المعصوم.³⁷ ويُفهم من هذه العبارة أن في شخصية مهدي المغاربة صفات قبيحة تخالف تماماً صفات المهدي المنتظر في آخر الزمان، وهذا ظلم. ولكن كل ما

²⁸ القنوجي، محمد صديق خان بن حسن، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (جدة: دار المدني، د. ط.، 1986م)، ص 93، و ص 120.

²⁹ انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، 4 ط، ج 7، 1979م)، ص 301.

³⁰ رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج 9، ص 501.

³¹ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 2، ص 132.

³² ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الحافظ، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، ط 1، ج 10، 1966م)، ص 151.

³³ ابن جلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: عباس، إحسان (بيروت: دار صادر، ج 5، 1977م)، ص 45.

³⁴ انظر: الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 105.

³⁵ انظر: عنان، محمد بن عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 2، 1390هـ/1970م)، ص 248.

³⁶ انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 2، ص 132.

³⁷ ابن قيم الجوزية، المنار المنيّف في الصّحيح والصّعيّف، ص 141-142.

فعله ابن تومرت من الكذب والتظاهر والادعاء بالمهدية قد ذهب هباءً متثوراً قبل أن تتحقق أحلامه لأنه مات في سنة 523هـ ودفن في مسجده في تينملل.

السيد محمّد الجونفوري (ت/ 910هـ): وهو محمّد بن يوسف الحسيني الجونفوري، الذي أسس فرقة مهديوية في الهند. وولد في سنة 848هـ في مدينة جونبور بشرق الهند وطلب العلم من بعض المشايخ ثمّ اشتغل بالعبادة والرياضة حتّى ترك الأهل والأولاد وخرج يتجول في الصحاري والجبال، ورجع بدعوى المهدية فأخذ ييشر الناس بمهديته من بلد إلى آخر وتبعه أناس كثيرون مغترين بزهد. وفي سنة 901هـ سافر للحج وادعى في مكة المكرمة أنّه مهدي ومن تبعه فهو مؤمن. ثمّ رجع إلى الهند وأخذ يتجول من بلد إلى آخر يدعو الناس إلى مهديته.³⁸ وقد بدّل اسم أبيه بعبد الله واسم أمّه بأمنة وأشاعهما في الناس وصنف كتاباً في أصول ذلك المذهب، أي مذهب المهدية، منها: "أنّه مهدي موعود وأنّه أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم بل إنّه أفضل من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبينا وعليهم السلام".³⁹ وكانت هذه الداعية السبب الأساسي الذي دفع المتقي الهندي في عصره إلى التأليف عن المهدي المنتظر رداً على أصحاب هذا المذهب، وهذا بعد موت السيد الجونفوري. وقال المتقي الهندي: "ومن قبائحهم أنّهم يعتقدون أن من أنكر هذا السيد الماضي الذي ادّعى المهديوية فهو كافر وبهذا الاعتقاد يكفرون المسلمين ويكفرون بتكفيرهم. وكفى دليلاً على بطلان اعتقاد هذه الطائفة قتلهم العلماء، فإنّ خصلتهم هذه تدل على عدم الدليل على اعتقادهم وعجزهم عن إثبات معتقدتهم".⁴⁰ **مهدي السودان (ت/ 1302هـ):** وهو محمّد أحمد بن عبد الله، وكانت أسرته تنتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كما كانت أمه تنتسب إلى العباس بن عبد المطلب. ولد في 27 من رجب عام 1270هـ أو 1258هـ في مدينة دنقلة بالسودان وأصبح ينتقل مع أسرته من بلد إلى آخر حتّى استقر بهم الأمر في مدينة «المنجزة» في الخرطوم.⁴¹ وقيل إنّ المهدي (السودان) نفسه كان مثلاً في التقشف والزهد، كان يحمل طعامه بيده بالرغم من كثرة أتباعه ومريديه، وإنّه لم يُحاب قريباً أو يُجامل قبيلة على أخرى، لكن كان كل من لازمه في نفس المرتبة لا تمييز بينهم إلاّ بحسب سابق انضمامهم للدعوة المهدية. كما أنّه أمر النساء بالتحجب وتغطية رؤوسهن وعدم الاختلاط بالرجال.⁴² وأعلن مهديته في سنة 1298هـ/ 1881م، ووجه رسائل إلى فقهاء السودان في الجهات المختلفة وإلى الحكام في مصر والسلطان عبد الحميد وملكة إنكلترا، فيقول في إحدى رسائله: "جاءني النبي ع في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر U وأمسك بيدي ع وأجلسني على كرسيه وقال لي: أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر وأنّ الترك كفار وهم أشدّ الناس كفراً لأنّهم ساعون في إطفاء نور الله ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون... الخ".⁴³ ولكن ذهب أحلامه أدراج الرياح فوافته المنية في رمضان 1302هـ/ 1899م، وهكذا انتهت هذه المهديوية بجميع خرافاتها.

ثانياً: الأئمة والعلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي

نرى أنّ هناك عدداً كبيراً من العلماء المتقدمين والحديثيين الذين احتجوا بأحاديث المهدي، ولكننا سنذكر بعضاً منهم. فقد كان الترمذي⁴⁴ من الذين حسن أحاديث المهدي، ومثله الحاكم،⁴⁵ وابن منظور،⁴⁶ وابن تيمية.⁴⁷ ويؤكد الحافظ أبو جعفر العيني (ت/ 322هـ) أنّ

³⁸ انظر: الحسيني، عبد المحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الهند: دائرة المعارف حيدر آباد الدكن، ط1، ج7، 1955م)، ص324-326.

³⁹ المصدر نفسه، ج7، ص325.

⁴⁰ المتقي الهندي، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، ج2، ص472، وص865-877.

⁴¹ انظر: شقير، تقوم، جغرافية وتاريخ السودان (بيروت: دار الثقافة، د. ط. د. ت.)، ص637.

⁴² الجمل، شوتى عطا الله، تاريخ السودان وادي النيل وعلاقاته بمصر (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ج3، 1980م)، ص31.

⁴³ السودان بين يدي غوردون وكشستر، ج1، ص74، نقلاً عن المهديّة في الإسلام لحسن، سعد محمّد (القاهرة: دار الكتب العربي، 1953م)، ص205.

⁴⁴ رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي (رقم: 2230، 2231، 2232). انظر: الترمذي، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ج4، ص245-246.

في المهدي أحاديث صالحة الأسانيد.⁴⁸ ويُفهم من كلامه أنَّ الأحاديث الواردة في شأن المهدي المنتظر هي مقبولة. ويؤكد أيضاً الحسن بن علي بن خلف أبو محمَّد البرهاري (ت/ 329هـ)، وهو شيخ الحنابلة في وقته، وقد صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد، صحة أحاديث المهدي في كتابه (شرح السنة).⁴⁹ وقال ابن قَيِّم الجوزيَّة (ت/ 751هـ) عن أحاديث المهدي: "وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعة".⁵⁰ وأثبت علاء الدين ابن حسام الدين الشهر بالمتقي الهندي (ت/ 975هـ) اتفاق علماء المذاهب الأربعة (الأحناف، والشَّافعية، والمالكية، والحنبلية) على صحة أحاديث المهدي المنتظر، ووجوب الإيمان بها على كلِّ مسلم.⁵¹ وقال محمَّد البرزنجي (ت/ 1103هـ) إنَّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنَّه من عِترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضي الله عنها بلغت حدَّ التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها.⁵² وكرر محمَّد السِّفاري (ت/ 1188هـ)⁵³ ما أثبتته البرزنجي، ثمَّ ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة ممَّن رواها، ثمَّ قال: "وقد رُوِيَ عَمَّنْ ذُكِرَ من الصحابة وغير من دُكِرَ منهم رضي الله عنهم بروايات متعدِّدة، وعن التَّابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعهُ العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرَّر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السنَّة والجماعة".⁵⁴ وذكر العلامة محمَّد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي (1307هـ)، وهو من علماء الهند أنَّ الأحاديث الواردة في ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد.⁵⁵

وقال حمود بن عبد الله التويجري (ت/ 1413هـ) عن الأحاديث الواردة في ظهور المهدي أنَّ فيها الصحاح والحسان والغرائب الضعيفة، ولم يذكر من الضعيف إلا ما كان له شاهد من الصحاح أو الحسان، وفي الصحاح كفاية في إثبات خروج المهدي في آخر الزمان، وهي حجة قاطعة على من أنكر خروجه من العصريين.⁵⁶ ... فمن لم يؤمن بخروجه فهو مخالف لعقيدة أهل السنَّة والجماعة شاء أم أبى.⁵⁷ وقد تترتب المضار والمفاسد على إنكار خروج المهدي وتكذيب الأحاديث الثابتة فيه لأنَّ تكذيب الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ ينافي الإيمان.⁵⁸ ومحسن عبد الناظر يقول: "إنَّ أحاديث المهدي التي سعت إلى إظهاره شخصاً مصلحاً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، بدون حقد ولا نزعة انتقامية لا يمكن ردها. أمَّا تلك التي ارتبطت بالعصمة والغيبة والاستتار والرجعة، فإنَّها لا تعبر إلا عن حقد

⁴⁵ انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج4، ص488.

⁴⁶ انظر: ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د.ت.، مج3)، ص787. وأشار ابن منظور (ت/ 711هـ) إلى أنَّ المهدي هو الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتَّى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمى المهدي الذي بشر به نبينا ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان وهذا هو الاعتراف الصريح من ابن منظور بصحة أحاديث المهدي المنتظر في آخر الزمان والله أعلم بالصواب.

⁴⁷ انظر: ابن تيمية، منهاج السنَّة النبويَّة، ج4، ص211.

⁴⁸ انظر: العقيلي، أبي جعفر محمَّد بن عمرو بن موسى بن حمَّاد، الضعفاء الكبير (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج2، 1998م)، ص76.

⁴⁹ انظر: التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (الرياض: للملكة العربية السعودية، ط1، 1983م)، ص278-279.

⁵⁰ ابن قَيِّم الجوزيَّة، المَنَارُ المُتَيَّفُ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ، ص135.

⁵¹ المتقي الهندي، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، ج2، ص566-577.

⁵² البرزنجي، محمَّد بن رسول الحسيني، الإشاعة لأشراط السَّاعة (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط. د. ت.)، ص87، وص112.

⁵³ انظر: السِّفاري، المسيح الدجال وأسرار السَّاعة، ص32.

⁵⁴ السِّفاري، محمَّد، لواعم الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، تعليق: أبو بطين، عبد الله ابن عبد الرحمن، وابن سحمان، سليمان (دمشق: مؤسسة الخافقين، ط2، ج2، 1402هـ)، ص84.

⁵⁵ انظر: القنوجي، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي السَّاعة، ص93، 120.

⁵⁶ انظر: التويجري، حمود بن عبد الله بن حمود، إتحاف الجماعة بما جاء في الفن والملاحم وأشراط السَّاعة، دار الصمعي للنشر والتوزيع، د.ت.، ج2، ص289.

⁵⁷ المصدر السابق، ص26.

⁵⁸ المصدر نفسه، ص52.

وكرهية لبعض الصحابة، ودعوة ملححة إلى تبديل الشريعة الإسلامية وربطها بالديانات القديمة وبالفلسفات الهدامة. وهي لا تختلف في شيء عن الأحاديث التي ربطت بين الإمامة والنبوة وميزت الأولى على الثانية، واستخدمت لبلوغ هذا التمييز كل الإمكانيات ومن ضمنها الأحاديث الموضوعية التي كثيراً ما كانت تنقص الصحابة وتتحدث عن مصير بعضهم إلا ظلم⁵⁹ والشيخ منصور علي ناصف قال: "اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى المهدي يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين ... وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرجها أكابر المحدثين كالترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، والطبراني، وأبي يعلى، والبزار، والإمام أحمد، والحاكم رضي الله عنهم أجمعين. و لقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها كابن خلدون وغيره".⁶⁰ وتحدث مصطفى أبو النصر الشليبي عن أحاديث ظهور المهدي قائلاً: "إن ظهور المهدي من علامات العظمى لأشراط الساعة الكبرى ... وخروج المهدي عند العلماء أو أهل السنة والجماعة حقيقة ثابتة بالنصوص الصحيحة".⁶¹ وقال محمد سلامة جبر⁶² أن ظهور المهدي من أول علامات الساعة الكبرى، واكتفى بذكر بعض الأحاديث الصحيح منها أو الحسن، في ظهور المهدي المنتظر.

ثالثاً: الأئمة والعلماء الذين أمهلوا و أنكروا أحاديث المهدي أو ضعفوها

تردّد ابن خلدون (ت/ 808هـ) قبول أحاديث المهدي على منهج النقد لدى المحدثين وإن كان قد أخطأ في تطبيق قواعدهم، إلا أنه لم يجرم الإنكار ولكنه متردد فيه ويدل عليه قوله: "فهذه جملة من الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهديّ وخروجه آخر الزمان. وهي كما رأيت لم تخلّص منها من النقد إلا قليل أو الأقل منه".⁶³ وربط ظهور المهدي إذا ظهر بالعصية شوكة فقال: "فإن صحّ ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم (أي من الفاطميين القاطنين في الحجاز وغيرها)، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة عصبيّة وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها. وأما على غير هذا الوجه، مثل أن يدعوا فاطميّ منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبيّة ولا شوكة إلا مجرّد نسبة في أهل البيت، فلا يتم ذلك، ولا يمكن، لما أسلفناه من البراهين الصحيحة".⁶⁴

وقد فصل السيد محمد رشيد رضا (ت/ 1354هـ) الكلام في مسألة المهدي قائلاً: "وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر والجمع بين الروايات فيه أعسر والمنكرون لها أكثر والشبهة فيها أظهر ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتهما في صحيحهما".⁶⁵ كما قال: "ولأجل ذلك كثّر الاختلاف في اسم المهدي ونسبه وصفاته وأعماله وكان لكعب جولة واسعة في تلفيق تلك الأخبار ... وسبب هذا الاختلاف أن الشيعة كانوا يسعون لجعل الخلافة في آل الرسول ع من ذرية علي سلام الله ورضوانه عليهم ويضعون الأحاديث تمهيداً لذلك".⁶⁶ وذكر أيضاً: "إن أحاديث الفتن والساعة عامة وأحاديث المهدي خاصة كانت مهبط رياح الأهواء والبدع وميدان فرسان الأحزاب والشيعة".⁶⁷ وزعم عبد الله بن زيد بن محمود عن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان،

⁵⁹ عبد الناظر، محسن، مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية (الدار العربية للكتاب، 1983م)، ص516.

⁶⁰ ناصف، منصور علي، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ع (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط5، ج5، 1993م)، ص341.

⁶¹ الشليبي، مصطفى أبو النصر، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأحوال يوم القيامة (جدة: مكتبة السوادي، ط3، 1416هـ/1996م)، ص189.

⁶² انظر: جبر، محمد سلامة، أشراط الساعة وأسراها - ما جاء في ظهور المهدي (الكويت: دار الكتاب، ط1، 1409هـ/1989م)، ص20-23.

⁶³ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج1، ص574.

⁶⁴ المصدر نفسه، ج1، ص583.

⁶⁵ رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج9، ص499.

⁶⁶ المصدر نفسه، ج9، ص105، وص502-503.

⁶⁷ المصدر نفسه، ج9، ص504.

وَأَنَّ القول بخروجه نظرية خرافية، وَأَنَّ الأحاديث الواردة فيه كُلهَا مختلفة ومكذوبة ومصنوعة وموضوعة ومزورة على رسول الله ﷺ وليست من كلامه، بل هي بمثابة حديث ألف ليلة وليلة، وَأَنَّهُ لا مهدي بعد الرسول ﷺ. ⁶⁸ ومع ذلك فدعوى المهدي في مبدئها ومنتهائها مبنية على كذب الصريح والاعتقاد السيئ القبيح وهي في الأصل حديث عن خرافة يتلقفها واحد عن آخر وقد صيغت لها الأحاديث المكذوبة سياسية للإرهاب والتخويف حيث غزا بما قوم على آخرين. ⁶⁹

وأشار أحمد أمين إلى أَنَّ فكرة ظهور المهدي المنتظر هي خرافة ومأخوذة من عقائد الشيعة والقائلين برجعة الأئمة، ولها أسباب سياسية واجتماعية ودينية، وذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم وانتقالها إلى معاوية، وقتل علي، وتسليم الحسن الأمر لمعاوية. ⁷⁰ وقال أيضاً: "واستغل هؤلاء القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين والدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطيبة الظاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأحكموا أسانيدها وأدعواها من طرق مختلفة، فصدقها الجمهور الطيب لبطاطته، وسكت رجال الشيعة لأنَّها من مصلحتهم، وسكت الأمويون لأنَّهم قلدها في سفائيتهم، وسكت العباسيون لأنَّهم حولهم إلى منفعتهم، وهكذا كانت مؤامرة شيعية أفسدوا بها عقول النَّاس." ⁷¹ وزاد على ذلك قائلاً: "فامتألت عقول الناس بأحاديث تُروى وقصص تُقص، ونشأ باب كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم، فيه أخبار الوقائع من كل لون، فأخبار العرب والروم، وأخبار في قتال الترك، وأخبار في البصرة وبغداد والإسكندرية، وما جاء في فضل الشَّام وَأَنَّهُ معقل الملاحم، وجعلت هذه الأشياء كُلهَا أحاديث، بعضها نسبوه إلى النَّبي ﷺ، وبعضها إلى أئمة أهل البيت، وبعضها إلى كعب الأخبار ووهب بن منبه، وهكذا." ⁷²

ويؤكد حسن حنفي إنكار الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي المنتظر قائلاً: "أحياناً يظهر المهدي مع المسيح في رواية واحدة يؤيدان الدور نفسه بالنسبة للمسيح الدجال. يظهر المهدي أولاً فيحاصره المسيح الدجال ثم يأتي المسيح عيسى ابن مريم ليخلص المهدي، مما يدلّ على وجود علاقة بين المخلصية المسيحية والمهدية أي بين الأسطورة النموذج والأسطورة المحلية. وقد يظهر المهدي وحده كإحدى علامات السَّاعة فتصبح الأسطورة واقعاً تتدخل فيه التحديدات المكانية والزمانية وتحديدات أخرى عقائدية لضبط الرواية وجعلها وكأنَّها حدث تاريخي مستقبلي واقع بالفعل." ⁷³ وذكر محمَّد فهميم أبو عبيدة، في هامش كتاب ابن كثير (البداية والنهاية) ملاحظته قائلاً: "أَنَّ كلَّ ما ورد من أحاديث تتعلق بالمهدي وظهره إنَّما هو أحاديث على رغم كثرتها ووفرته وجمع بعض الناس لها في كتب خاصة بها، وهي بالتالي لا تلزم المسلم اعتقاد مضمونها، وليس ما يمنع شرعاً من أن يفهم المسلم أن المهدي رمز إلى انتصار الحق والخير. وليس هناك دليل صحيح قاطع الدلالة على أن من يسمى بالمهدي سيظهر داعياً إلى دين الله على ما وردت به بعض الأحاديث الضعيفة. ولهذا فنحن نميل إلى أَنَّ المهدي رمز إلى انتصار دعوة الحق على نزعات الباطل وشروره." ⁷⁴

⁶⁸ ابن محمود، عبد الله بن زيد، رسالة عن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان، ص 4، 7، 12، 14، 16، 24، 27، نقلاً عن التوجي، حمود بن عبد الله بن حمود، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، ص 282.

⁶⁹ انظر: رسالة ابن محمود، ص 58، نقلاً عن كتاب التوجي، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، ص 282.

⁷⁰ أمين، أحمد، ضحى الإسلامى (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط 9، ج 3، 1978م)، ص 241.

⁷¹ المصدر نفسه، ج 3، ص 243.

⁷² المصدر نفسه، ج 3، ص 244.

⁷³ حنفي، حسن، التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم من العقيدة إلى الثورة، التاريخ العام؛ النبوة والمعاد (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط 1، ج 4، 1988م)، ص 473.

⁷⁴ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الحافظ، نهاية: البداية والنهاية، تحقيق: أبو عبيدة، محمَّد فهميم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 2، ج 1، 1993م)، ص 37، 42.

المحور الثالث: مناقشة انعكاسات قضية ظهور المهدي على واقع الأمة ومستقبلها

إنَّ مفهوم قضية خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان الذي يدلُّ عليها حديث الذي أخرجه الترمذي في جامعه «لَا تَدْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاظِيُ اسْمُهُ اسْمِي» واضح جداً. فسياق هذا الحديث، وروايته الكثيرة التي جاءت بصيغ مختلفة، والذي أخرجه أبو داود، وأحمد، وابن ماجه، وغيرهم، وحكمه الذي حكموا عليه أصحاب علماء المسلمين نحو ابن تيمية، والحاكم، والألباني، وغيرهم، يدفعنا إلى القول بأنَّ فكرة ظهور المهدي المنتظر قبل ذهاب هذا الدنيا، هي فكرة حقيقية ثابتة، وليست أسطورة أو خرافة، ولذلك يمكن قبولها. وتطور هذه المناقشة حول أقوال العلماء منهم المتقدمين والمحدثين، التي تتعلق بحديث ظهور المهدي في آخر الزمان، وهي تتضح من النقاط الآتية:

هل روايات المهدي متعارضة؟ - يرى محمد رشيد رضا في تفسيره المنار: "أما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر والجمع بين الروايات فيه أعسر...".⁷⁵ ثمَّ ذكر بعد ما يرى من التعارض في الأخبار والآثار الواردة فيه. فمنها ما تدل على محمد بن عبد الله أو أحمد بن عبد الله، ومنهم من يرى أنَّه محمد بن الحسن العسكري، ومنهم من يرى أنَّه محمد بن الحنفية وكذلك منهم من يزعم أنَّه علوي حسني ومنهم من يظنُّ أنَّه عباسي. والكل يتشبه بآثار وأخبار.⁷⁶ وذكر أيضاً بعض الأمور التي اضطرت واختلقت فيه الروايات الواهية والموضوعية. لا شكَّ فيه ولا غرابة على ذلك فإنَّ من علامات الخطأ أو الكذب أن يكون متعارضاً مختلفاً. ونحن لا نُنكر أنَّ كثيراً من الأحاديث والآثار الواردة في المهدي المنتظر ضعيف أو موضوع. فإنَّ تعارضت هذه الأخبار فلا تضر شيئاً تلك الروايات الثابتة فإنَّها والله الحمد لا نجد فيها أي تعارض. ومع ذلك هذا التعارض يظهر من الذين يدعون إلى المهديَّة، وإن لم يكن هذا، لا يوجد تعارض؛ لأنَّ الحديث يوضح من هو المهدي المنتظر. ولذا اتفق أهل السنة والجماعة أنَّ المهدي هو من ولد فاطمة، ومن أولاد الحسن رضي الله عنه، وهذا أصح. وتحقق ذلك من قول بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة أنَّ كون المهدي من ذريته ع مما تواتر عنه فلا يسوغ العدول والالتفات إلى غيره.⁷⁷ ونرى أيضاً أنَّ الروايات في خروج المهدي صحيحة ومتواترة تواتراً معنوياً، وهذا كما سبق أن ذكرنا نصوص من العلماء على صحتها وتواترها.

أحاديث المهدي لم يُخرجها البخاري ومسلم: وقال محمد رشيد رضا: "لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتهما في صحيحهما".⁷⁸ وأيده في هذه الفكرة أحمد أمين قائلاً: "ولم يرو البخاري ومسلم شيئاً عن أحاديث المهدي مما يدل على عدم صحتها عندهما".⁷⁹ ويُفهم من دعواهما أنَّهما ظنَّا أن الشيخين لم يخرجوا أحاديث خروج المهدي لعلة فيها عندهما. ولكن هذا الظن ليس بصحيح. لأنَّ الشيخين لم يحيطوا بجميع الأحاديث الصحيحة ولا ادعوا ذلك فقد قيل عن البخاري أنَّه ما أدخل في كتاب الجامع إلاَّ ما صح وترك من الصحاح لحال الطول. كما قيل عن مسلم أنَّ ليس كل شيء عنده صحيح وضعه هاهنا (كتابه الصحيح) إنما وضعه هاهنا ما أجمعوا عليه.⁸⁰ ونعرف أنَّ هناك أحاديث كثيرة جداً استدلت بها العلماء عملوا بها ولا توجد في الصحيحين، حتى في أمور العقائد ومنها الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة. فمن الخطأ أن يظن أن عدم إخراج الشيخين أحاديث المهدي يدل على أنَّها لم تصح عندهما. وكلامهما هذا ليس بصحيح على إطلاقه، لأننا نجد في الصحيحين أحاديث تتعلق بالمهدي وإن لم تكن صريحة في

⁷⁵ رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج9، ص499.

⁷⁶ المصدر السابق، ج9، ص501.

⁷⁷ انظر: القنوجي، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ص120.

⁷⁸ رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج9، ص499.

⁷⁹ أمين، ضحى الإسلامي، ج3، ص241.

⁸⁰ مقدمة ابن الصلاح مع التقيد والإيضاح، ص26، تقرأ عن المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، البستوي، عبد العليم عبد العظيم، ص362.

ذكره. وقال ابن كثير رحمه الله: "إن البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكّم بصحّته من الأحاديث، فإنّهما قد صحّحا أحاديث ليست في كتابيهما؛ كما ينقل الترمذي وغيره من البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده، بل في السنن وغيره".⁸¹

تضعيف أحاديث المهدي: يقول ابن خلدون في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك: "اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الإعصار، أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمّى بالمهدي...".⁸² وقوله هنا لا يعني إنكار الأحاديث الواردة في خروج المهدي، وإذا كان ابن خلدون من المنكرين لأحاديث المهدي ما كان يتحدث عن ظهور رجل من أهل البيت في آخر الزمان، ويبدو أنّ قوله هذا يتعلق بما روى أصحاب الحديث في خروج المهدي عن النبي ع. ولكنه حاول تضعيف أحاديث المهدي كلّها واستند في رأيه هذا إلى كلام العلماء «إن الجرح مقدّم على التّعديل» ثم ذكر بعض ما ورد في الطعن في بعض رواة أحاديث المهدي. ولكن الحقيقة أنّ المحدثين لا يقصدون بهذا القول الإطلاق، بل لا بدّ أن يكون الجرح مفسراً حتى يمكن الباحث من النظر فيه. ويردّ عليه الشيخ أحمد شاکر قائلاً: "إنّ ابن خلدون لم يحسن فهم قول المحدثين: «الجرح مقدّم على التّعديل»، ولو اطّلع على أقوالهم وفقهها؛ ما قال شيئاً مما قال، وقد يكون قرأ وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه من الرأي السياسي في عصره".⁸³ فإنّ قوله: "فإن صحّ ظهور هذا المهدي"⁸⁴ لا يخلو عن مساحة ونوع إنكار من خروجه، وتلك الأحاديث واردة عليه، وليست بدون الأحاديث التي ثبتت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام. ولا شكّ في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لِمَا تواتر من الأخبار في هذا الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف، إلاّ من لا يعتد بخلافه. ومع ذلك يمكن القول أنّ ظهور المهدي لا يبنّي على أقوال الصوفية ومكاشفتهم كما ذهب إليه ابن خلدون، أو أهل التنجيم أو الرأي المجرد بل إنّما قال به أهل العلم لورود الأحاديث جملة في ذلك. لقد أشار رشيد رضا في تفسيره إلى: "وردت أحاديث في المهدي منها ما حكموا بقوة إسناده ولكن ابن خلدون غني بإعلاها وتضعيفها كلّها".⁸⁵ لكن رشيد رضا أخطأ بوجهه هذا لأنّ ابن خلدون لم يضعف أحاديث المهدي كلّها، وإنّما ضعف أكثرها واستثنى من النقد القليل منها أو الأقل منه، وقد صرح بذلك في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" بعد سياقه للأحاديث الواردة في المهدي الذي رواها الترمذي، وأبو داود، وأحمد، وغيرهم. وخلاصة القول أنّ ابن خلدون أخطأ حينما حكم بتضعيف بعض الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي في آخر الزمان، وهذا لا يعني أنّه جاهل بأحاديث خروج المهدي الواردة عن النبي ع، بل غلبت عليه الفكرة السياسية في عصره.

هل فكرة خروج المهدي تخالف العقل السليم؟ - وذهب أحمد أمين بقوله إلى أنّ حديث خروج المهدي حديث خرافة، وترتبت عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين: "أحيط المهدي بجو غريب من التنبؤات والأخبار المغيبات والأنباء بمجوات الزّمان. فعند آل البيت علم توارثه عن أخبار الزّمان إلى يوم القيامة وهناك الجفر وهو جلد ثور صغير مكتوب فيه علم ما سيقع لأهل البيت مروى عن جعفر الصادق في زعمهم. وهناك أخبار زعم مسلمة اليهود أنّهم رأوها في كتبهم الدينية مثل كعب الأبحار ووهب بن منبه في أحاديث الدول وأعمارها". ثمّ أضاف قائلاً: "وكان لكلّ ذلك أثر سيئ في تضليل عقول الناس وخضوعهم للأوهام".⁸⁶ ولكن قد تبين لنا من خلال دراستنا أنّ هذه الخرافات والتنبؤات التي يستعدها العقل ويأبأها القلب كلّها مما لا تصح نسبتها إلى الرسول ع، ولا إلى

⁸¹ شاکر، أحمد محمّد، الباحث الحديث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط.، د. ت.)، ص 25.

⁸² ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 1، ص 555.

⁸³ انظر: ابن حنبل، المسند، ص 197-198.

⁸⁴ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 1، ص 574.

⁸⁵ رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج 9، ص 500.

⁸⁶ أمين، ضحى الإسلامي، ج 3، ص 244.

الصحابة ولا إلى غيرهم من التابعين وأئمة المسلمين وهم برآء منها. كما تبينا لنا أن الأحاديث الواردة في شأن خروج المهدي عن الرسول ع، منها ما هو ضعيف ومنها ما هو موضوع مختلق احتلقه القصاص أو المغرضون أو المتزلفون إلى فئة دون فئة. ومع ذلك فإذا كانت الأخبار والآثار بخروج المهدي مبنية على الأحاديث الواردة عن الرسول ع، ومروياً عن أصحابه وهم الثقات، فلا يمكن أن تؤدي إلى تضليل عقول الناس وإخضاعهم للأوهام، بل تؤدي إلى اطمئنان قلوبهم بقبول أحاديث خروج المهدي. أما إذا كانت هذه الأخبار والآثار مبنية على خرافة أو على أقوال ودعاية بالمهدية، مأخوذة من كتاب ألف ليلة وليلة، فهي التي تخالف العقل السليم وتؤدي إلى عدم الاعتقاد بالأحاديث المتعلقة بخروج المهدي المنتظر في آخر الزمان، والله أعلم بالصواب.

هل يجب الإيمان والاعتقاد بخروج المهدي؟ - ويتضح من أقوال العلماء المتقدمين والمحدثين الذين احتجوا بالأحاديث الواردة في خروج المهدي، أن الإيمان والاعتقاد بخروج المهدي واجب شرعي وعقيدة لازمة للمؤمن؛ لأن الأحاديث التي وردت بشأنه متواترة، ولتواتر يفيد عند جمهور العلماء العلم القطعي، فالعلم بها واجب والعمل بها فرض لازم. ومع ذلك فقد يدخل في دائرة الكفر من جحد أو أنكر حديثاً متواتراً. ولكن تحدث عبد الله بن زيد بن محمود عن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان: "إن دعوى المهدي في مبدئها ومتهالها مبنية على الكذب الصريح والاعتقاد السني القبيح وهي في الأصل حديث خرافة يتلفها واحد عن آخر وقد صيغت لها الأحاديث المكذوبة سياسة الإرهاب والتخويف حيث غزا بها قوم على آخرين".⁸⁷ ويقول التوحيدي ردًا على ابن محمود: "إن القول بظهور المهدي في آخر الزمان ثابت عن النبي ع برواية الثقات عن الثقات، ولا يرد الأحاديث الثابتة فيه إلا من هو مكار لا يبالي بمعارضة النبي ع ورد الأحاديث الثابتة عنه. وكيف يستجيز المسلم أن يصف الأحاديث الثابتة عن الرسول ع بأنها كذب صريح وإن اعتقاد ما جاء فيها اعتقاد سني قبيح، وإن هذا القول من مجازفات ابن محمود التي قالها من غير تثبت ولا تعقل. أما الخرافة كل الخرافة هي ما جازف به ابن محمود في رد الأحاديث الثابتة عن النبي ع في المهدي وما تلقاه عن بعض العصريين من الشبه والشكوك والآراء الفاسدة في معارضتها واطراحها. وإذا فما زعمه ابن محمود من أن دعوى المهدي قد صيغت لها الأحاديث المكذوبة قول لا أساس له من الصحة، وإنما هو مجازفة وتمويه وتليس على ضعفاء العقول والأفهام. وهؤلاء أورد ابن محمود الأحاديث في المهدي بأسانيدها وذكر أسماء الكذابين من رواة التي صاغوها للإرهاب والتخويف على حد زعمه، ولن يجد إلى الطعن المؤثر في أسانيد الأحاديث الثابتة في المهدي سبيلاً البتة".⁸⁸ وقال رشيد رضا في تفسيره: "أما سائر المسلمين فالأمر عندهم أهون فإن منكر المهدي عندهم لا يُعد منكرًا لأصل من الدين. وجملة القول أننا لا نعتقد بهذا المنتظر ونقول بضرر الاعتقاد به". ونرد على هذا الكلام أن الأحاديث الواردة في خروج المهدي لا غبار عليها، ولا يستطيع أحد أن ينكرها، وهي أمر عقدي عند المسلمين؛ لأنها مرفوعة إلى النبي ع، ومروياً عن الثقات عن الثقات، وأسانيد منها الصحاح والحسان أما الضعاف فلا يؤخذ منها شيء. وعدم الاعتقاد بخروج المهدي المنتظر، وإنكار الأحاديث المتعلقة به، قد يؤدي إلى عدم الإيمان بالسنة النبوية، والتي تجعل الإنسان مائلاً إلى الكفر، ونعوذ بالله منه.

خلاصة القول عن شأن ظهور المهدي: قد تحقق من أقوال العلماء المتقدمين والمحدثين الذين احتجوا بالأحاديث الواردة فيه عن رسول الله ع. والسبب الأساسي الذي دفعهم إلى اهتمام بتطور شرح حديث المهدي المنتظر، هو الواقع نفسه؛ لأنهم كانوا يواجهون إشكاليات متعدّدة في عصورهم، منها الأدعياء بالمهدية، وإنكار روايات الأحاديث الواردة فيه، وغيرها. ولذا ردوا عليهم بجمع الأحاديث الصحاح منها والحسان، وجعلها في باب خاص من كتبهم، وهي

⁸⁷ انظر: ابن محمود، عبد الله بن زيد، رسالة عن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان، ص8، 58، نقلاً عن التوحيدي، حمود بن عبد الله بن حمود، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، ص282.

⁸⁸ انظر: التوحيدي، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، ص282.

ما يتعلق بكتاب الفتن والملاحم، وكتاب المهدي، وغيرها. وذهب عدد كبير من العلماء المسلمين إلى صحة قبول حديث خروج المهدي المنتظر. وفي نهاية هذه المناقشة الدائرة حول حديث خروج المهدي في آخر الزمان، أودُّ أن أذكر نصيحة الشيخ الألباني حيث قال: "واعلم يا أخي المسلم أنَّ كثيراً من المسلمين اليوم قد انخرفوا عن الصواب في هذا الموضوع (أي حديث خروج المهدي)، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلاً بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلّها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام... وخروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإنَّ المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظلَّ ثلاثاً وعشرين عاماً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام... الخ."⁸⁹

المحور الرابع: عرض موقف الديانات الأخرى من مفهوم المهدي المنتظر

إنَّ فكرة ظهور المهدي المنتظر هي اعتقاد رافق أغلب الديانات والمذاهب التي ظهرت في الشرق، وبشر بخروجه الأنبياء والرسل والحكماء، وخاصة أنبياء بني إسرائيل الذين ذهبوا إلى أن الله سوف يرسل منقداً لتخليص أبناء البشرية مما يعانونه من ويلات وظلم وتعسف. ولا زال العديد من النَّاس ينتظرون هذا المخلص الذي سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وهو يخلص البشر من كافة المساوئ والخطايا التي ارتكبوها في عالم الكون والفساد.⁹⁰

ويلاحظ من تاريخ اليهود أنهم ينتظرون ظهور هذا المخلص، ولهذا يعتقد المستشرق جولد تسهير أن اليهود يرون أن النبي إيليا قد رفع إلى السماء وأنه لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق والعدل، وأنَّ "إيليا" هو النموذج الذي يجسد عقائد الغيبة عند بعض الفرق، والمذاهب الإسلامية، الذين يعتقدون بغيبة الإمام وأنه حي لا يشاهده أحد. وهو سيعود يوماً إلى هذا العالم كمهدي ومخلص لأبناء البشرية.⁹¹ ويقول العلامة ابن قيم الجوزية أن منتظر اليهود هو الدجال الذي يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً، وفي "المسند" مرفوعاً عن النبي ﷺ: «أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء».⁹² أمَّا المسيحيون فيعتقدون بعودة المسيح لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفتكه بأخيه الإنسان، وخاصة مسيحيو الأحباش الذين ينتظرون عودة ملكهم (تيودور) كمهدي يظهر في آخر الزمان أي عندما يأمر البارئ سبحانه وتعالى بقيام الساعة. كما يعتقد النصارى أن مجيء المسيح يكون قبل يوم القيامة، فيقيم دين النصرانية ويطلق سائر الأديان. وفي عقيدتهم نزع المسيح الذي هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي نزل طامناً. وهم ينتظرون المسيح عيسى بن مريم، ولا ريب في نزوله، ولكن إذا نزل كسر الصليب، وقتل الخنزير، وأباد الملل كلها سوى ملة الإسلام.⁹³ كما توجد المذاهب والآراء الدينية الغير سماوية أفكار وعقائد لا تختلف عن العقيدة الإسلامية المتعلقة بقائم القيامة. إذ يرى المغول على سبيل المثال أن زعيمهم "جَنكيز خان" قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا لتخليص أتباعه من العسف

⁸⁹ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج4، ص42.

⁹⁰ انظر: السيادة العرب والشيعية والإسرائيليات، فان فلوتن، ص107، نقلاً عن غالب، مصطفى، الإمامة وقائم القيامة (بيروت: دار الكلب الهلال، 1981م)، ص280.

⁹¹ انظر: العقيدة الشرعية، جولد تسهير، ص193، نقلاً عن غالب، مصطفى، الإمامة وقائم القيامة، ص281.

⁹² انظر: ابن قيم الجوزية، المنار المُنَيَّف في الصحيح والضعيف، ص143.

⁹³ انظر: المصدر نفسه، ص143.

الصيني. وفي عقائد الهنود المتصلة بتناسخ براهما منطلقات مماثلة. ويبدو أنَّ عقيدة انتظار ظهور منقذ وعودته إلى العالم الأرضي ليخلص البشرية مما تعانیه قد تجاوزت ديانات ومذاهب أهل الشرق إلى أهالي شبه جزيرة إسكانداوة وبين سكان المكسيك. وذلك ما أكدّه فولتير حيث قال: "يرى الهنود والصينيون أن المسيح سيخرج من المغرب، وعلى حين يرى الغربيون أنه سيخرج من المشرق".⁹⁴

ولكننا نرى اليوم أنَّ هناك طائفة من النصارى التي تؤمن أنَّ المعركة المقدسة ستكون في "هَرْمَجْدُون" وهي المعركة التي تؤدي إلى نهاية العالم، وهذه الحرب ستكون حرباً نوبويةً. ويعتقد أن هذا الحرب ستُدْرُجُ الأسلحة وبعد ذلك ستكون الحرب بالسيوف، وهذا هو وقت ظهور المهدي وبعده عيسى عليه السلام.⁹⁵ إنَّ كلمة "هَرْمَجْدُون" مقطعان "هَرْمُ" ومعناه بالعبرية: جبل. و"مَجِيدُو" وادي في فلسطين، وهو ساحة المعركة القادمة التي سوف تمتد من "مَجِيدُو" في الشمال إلى "إيدوم" في الجنوب مسافة حوالي 200 ميل وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط في الغرب وإلى تلال "موهاب" في الشرق مسافة 100 ميل. ويعتبر العسكريون خاصة الغزاة القدماء، هذه المنطقة موقفاً استراتيجياً يستطيع أي قائد يستولى عليه أن يتصدى لكل الغزاة.⁹⁶ وتوجد هذه الكلمة في كتب أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، فقد جاء في "سفر الرؤيا/16-16": "وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمّى "هَرْمَجْدُون" (الإنجيل، ص388). ويُقال أيضاً أنَّ سبعة من رؤساء أمريكا يؤمنون بمعركة "هَرْمَجْدُون". ومما لا ريب فيه أننا متفقون معهم على وقوع معركة "هَرْمَجْدُون" وإثبات حقيقة واقعة قريبة قريبة مع اختلاف في تفاصيل ونتائج هذه المعركة.

الخاتمة:

قد توصلت البحث إلى عدة النتائج، ومنها: (1) إثبات حديث خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان أخرجه الترمذي، وحكم عليه بأنه حسن صحيح، مقبول لدى الناس، لأنَّ الروايات فيه صحيحة ومتواترة تواتراً معنوياً؛ (2) إنَّ فكرة ظهور المهدي المنتظر قبل ذهاب هذا الدنيا، هي فكرة حقيقية ثابتة، وليست أسطورة أو خرافة؛ لأنَّها فكرة مشتركة بين أغلب الديانات والمذاهب التي ظهرت في العالم الشرقي؛ (3) إنَّ أقوال العلماء المتقدمين والمحدثين الذين احتجوا بالأحاديث الواردة في خروج المهدي المنتظر، تدلُّ على حقيقة الإيمان والاعتقاد بخروجه؛ (4) إنَّ الإيمان بالأحاديث الواردة في ظهور المهدي، واجب شرعي وعقيدة لازمة للمؤمن؛ لأنَّ الأحاديث التي وردت بشأنه مرفوعة إلى رسول الله ﷺ، ومروية عن الثقات عن الثقات، وأسانيدها منها الصحاح والحسان؛ (5) إنَّ الأدعية بالمهدية وإنكارها لا تناسب مضمون الأحاديث الواردة في ظهور المهدي عن النبي ﷺ، بل تؤدي إلى الكفر والفساد في العقيدة الإسلامية؛ (6) إنَّ الروايات عن الحديث في خروج المهدي غير متعارضة؛ لأنَّ الحديث يوضح من هو المهدي المنتظر. ويظهر التعارض من الذي يدعو إلى المهدية، وإن لم يكن هذا، لا يوجد تعارض؛ (7) إنَّ أهل السنة والجماعة متفقون على أنَّ المهدي هو من ولد فاطمة، ومن أولاد الحسن ﷺ، وهذا أصح. وتحقق ذلك من قول بعض حفاظ الأمة المسلمة وأعيان الأئمة أنَّ كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه فلا يسوغ العدول والالتفات إلى غيره.

⁹⁴ انظر: السيادة العرب والشيعية والإسرائيليات، فان فلوتن، ص108، نقلاً عن غالب، مصطفى، الإمامة وقائم القيامة، ص281.

⁹⁵ انظر: هالسيل، غريس، النبوة والسياسة، ترجمة: محمّد السّكّك (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1989م)، ص37.

⁹⁶ انظر: جمال الدّين، أمين محمّد، عُمر أمة الإسلام وقُرب ظهور المهدي عليه السلام (الأزهر: مكتبة الدّعوة، ط2، 1417هـ/1996م)، ص36-38.